الشاعر ما زال يبحث عن مأوى لأطفاله منذ عام ونصف

# رفح بين أنقاض الركام ومصارعة اللجوء الجديد

**رفح – محمد البابا:**

بعد مرور أكثر من عام ونصف العام على هدم قوات الاحتلال الإسرائيلي منزله، لا يزال سامي الشاعر (٥٥ عاماً) ينتظر الحلول الرسمية والأهلية لإيواء أسرته، وتعمير بيت جديد لأطفاله، والكف عن التنقل بهم تارة عند أقاربه، وأخرى بين الشقق والمنازل غير المؤهلة للإيجار.

الشاعر الذي هدمت قوات الاحتلال الإسرائيلي منزله المحاذي للشريط الحدودي الفاصل بين فلسطين ومصر قبالة حي البرازيل برفح (جنوب قطاع غزة) في أيار من العام الماضي، أبٌ لعشرة أبناء، فقد اثنين منهم شهداء جمال (١٦ عاماً) وسالم (١٥ عاماً) أثناء اجتياح قوات الاحتلال لمدينة رفح وقيامها بهدم المنازل وتجريف الأشجار وقتل الأطفال الذين حاولوا الاحتجاج على هدم منازلهم.

قال الشاعر: لم أترك مؤسسة رسمية أو أهلية إلا وطرقت أبوابها، ولم أعتق نائباً في المجلس التشريعي ولا مسؤولاً في السلطة، إلا وناقشت معاناة أسرتي معه.

وأضاف: طلبي منذ عام ونصف فقط إنشاء بيت جديد لي، مع استعدادي التام لتوفير قطعة أرض لتسهيل البناء.

وتابع: خاطبت عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة في بث حي ومباشر المسؤولين كافة ورجوتهم الوقوف إلى جانبي وجانب كل الأسر المشردة، والمساهمة الجادة في بناء منازل جديدة لأصحاب البيوت المدمرة، ولم أتوصل إلى نتيجة ايجابية. حصلت على رقم «فاكس» لمكتب الرئيس «أبو عمار» من أجل إرسال كتاب خاص أعرض فيه مشكلتي علني أجد حلاً شافياً لها.

## 9459 مشرداً جديداً وآلاف أخرى معرضة لخطر التشرد!!

دمرت قوات الاحتلال منازل ١٣٢٠ أسرة بشكل كلي في محافظة رفح منذ اندلاع الانتفاضة في أيلول العام ٢٠٠٠. وقد أدى الهدم الوحشي للمنازل إلى تشريد ١٦٧٠ أسرة تضم ٩٤٥٩ شخصاً، فيما يواجه أكثر من ٢٥٠٠ منزل تقع على امتداد الشريط الحدودي الأضرار اليومية للقصف الإسرائيلي والرصاص العشوائي والتوغلات شبه اليومية. محنة إنسانية قل نظيرها، حيث يحرم الأطفال والإنسان في هذا المكان من أبسط حقوقهم، من وجود مأوى لهم، ويقذف في العراء تحت رحمة الطبيعة، ولا يحرك هذا العمل الإجرامي الذي يعد من أبشع جرائم الحرب، ضمير العالم الحر، ولا يحرك شيئاً في الإدارة الأميركية التي تقيم الدنيا ولا تقعدها عندما يمس المدنيون الإسرائيليون، لكنها تصمت وأحياناً تبرر تلك الجرائم وتتبنى رواية الاحتلال الكاذبة.

ويضيف الشاعر أنه ضمن أصحاب المنازل التي لا تتلقى خدمات اجتماعية من وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «الأونروا»؛ لكونه لا يمتلك بطاقة «لاجئ» ومن مواليد رفح أصلاً، ما ساهم في تفاقم مشكلته بعد أن قامت «الأونروا» ببناء ٩٧ وحدة (منزلاً) ضمن مواصفات محددة سلمتها لذوي البيوت المدمرة، وتقوم حالياً بإنشاء ١٠٣ وحدات، ما يعني حل «الأونروا» حتى الآن ما نسبته ١٥٪ من المشكلة. ويشمل إعصار التدمير المتواصل في رفح الذي طال في الأيام الأخيرة فقط – في العاشر من حزيران الماضي – ما يزيد على ١٤٧ منزلاً.

## الجهات المسؤولة تتذرع بالإمكانيات المحدودة

قال الشاعر بضجر بينما كان يرتدي كوفية حمراء لفها حول رأسه: إنهم يسكتوننا بمساعدات عينية ومادية لا تغني ولا تسمن من جوع، تقدمها مؤسسات مختلفة فور وقوع الفاجعة وحلول الدمار، وبعد ذلك لا نرى أحداً، ونبقى نتردد أمام أبواب المؤسسات، وتصبح خيام اللجوء الجديدة مزاراً فقط للصحافيين الأجانب ووسائل الإعلام التي لم تساهم حتى الآن بالشكل الفاعل بمنع أنياب «البلدوزر» من التهام «تحويشة العمر» ومأوانا الوحيد بعد أن أصبح الحلم الفلسطيني لكل إنسان هو البيت وعمل يضمن منه قوت أطفاله.

وتنهد متسائلاً: فما بالك بمن يخسر حلمه، بيته وعمله، ماذا عليه أن يفعل؟! ومن فترة إلى أخرى ينظم أصحاب المنازل المدمرة احتجاجات مختلفة، منها نصب الخيام البيضاء، والاعتصام أمام المؤسسات الرسمية في المحافظة والمجلس التشريعي، أو التظاهر ورفع الشعارات واللافتات المطالبة بإنشاء منازل لإيواء أسرهم، ووصل الحد بهم أحياناً إلى مهاجمة عدد من المقار الرسمية وتحطيم أثاث بعضها، والتهجم على شخصيات مسؤولة.

وكانت عدد من المؤسسات الأهلية كنادي خدمات وشباب رفح استوعب عدداً من الأسر المشردة مدة معينة حتى تم توفير مأوى لهم.

## خطة لبناء 504 وحدات سكنية

وزير الزراعة والنائب عن دائرة رفح روحي فتوح، أكد أن إمكانات السلطة المالية هي سبب العجز وليس التقصير، مشيراً إلى أن السلطة أقرت خطة لبناء ٥٠٤ وحدات سكنية، وتعمل، جاهدة، من أجل تقديم الخدمة للأسر المنكوبة.

وقال: هناك نقص في الأراضي الحكومية برفح، الأمر الذي يعيق تنفيذ المشاريع، إضافة إلى أن إعصار الدمار الإسرائيلي يتواصل بشكل يومي وإجرامي.

وأضاف: هناك خطط لابتياع أراض برفح وتقديمها للجهات المانحة من أجل بناء وحدات سكنية كـ«الأونروا» والجهات الممولة الأخرى.

وأكد فتوح أن السلطة تعمل على حل إشكالية الذين لا يحملون بطاقة التموين ولا ينحدرون ضمن خطة «الأونروا»، لإنشاء مساكن لهم، وسيتم قريباً وفور توفير الدعم المالي إنهاء مشكلة هذه الأسر.

وحول مساعدة الرئيس قال: إن المساعدة بقرار رئاسي تصرف لأصحاب المنازل المدمرة، ولا يعيقها أحياناً سوى العجز المالي، وتقوم السلطة بتشجيع أي إجراءات من شأنها دعم المنكوبين.

وحول تجميد أرصدة المؤسسات الخيرية التي يمكنها تقديم مساعدات لذوي البيوت المدمرة، أكد فتوح أن محافظ سلطة النقد أصدر تعليماته للبنوك بصرف الشيكات المخصصة لدعم المتضررين، مشيراً إلى أن العائق الوحيد هو الاحتلال الذي يدمر المنازل لإخضاع المواطنين وإنهاء الانتفاضة وتركيع أبناء شعبنا، الأمر الذي لن يتحقق أبداً.

## بعض تجار الحروب حفروا نفقاً أو اثنين خلال الانتفاضة

وتتهم قوات الاحتلال الإسرائيلي الشاعر بحفر «نفق» داخل منزله يربط بين رفح الفلسطينية ورفح المصرية، وتتذرع حكومة الاحتلال كل مرة تهدم فيها منازل فلسطينية بحفر الأنفاق التي تستخدم لتهريب الأسلحة من الأراضي الفلسطينية إلى قطاع غزة، أو إطلاق مسلحين القذائف والعيارات النارية على جنودها من داخل هذه البيوت. وقد زعم شاؤول موفاز أن جيشه تمكن من تدمير ٤٠ نفقاً على الحدود الفلسطينية المصرية بالقرب من رفح خلال فترة الانتفاضة.

وعرضت قوات الاحتلال صوراً فوتوغرافية وتلفزيونية لنفق في حزيران الماضي ادعت أنها ضبطته بالقرب من رفح بعد اجتياحها الأخير للمدينة الذي استمر ١٢ يوماً، وواجهت فيه انتقادات دولية. وأكدت غالبية أصحاب المنازل المدمرة أن قوات الاحتلال تتذرع بذلك لتضليل الرأي العام الدولي، وإيجاد المبررات، ومواصلة إنشاء جدار الفصل العنصري الممتد على طول الشريط الحدودي، ونفى جميع المواطنين الذين التقتهم «آفاق برلمانية» من أصحاب المنازل المدمرة علمهم بوجود أنفاق.

ورداً على هذه المزاعم، قال ممثل الرئيس في محافظة رفح المحافظ مجيد الأغا: إن ظاهرة حفر الأنفاق في المناطق الحدودية موجودة في كل العالم، وليست ظاهرة جديدة، وقد حاربت السلطة الوطنية قبل اندلاع انتفاضة الأقصى بكل قسوة حفر الأنفاق، وتمكنت من تدمير وسد أكثر من ٢٥ نفقاً على الشريط الحدودي.

وأضاف: الهيمنة الإسرائيلية، وتدميرها للبنية الأساسية للأجهزة الأمنية الفلسطينية، وتدمير مقارها، اضعف أداء السلطة، وولد فرصة لبعض المنتفعين وتجار الحروب لحفر نفق أو اثنين على مدار الانتفاضة، استخدموها لتهريب الممنوعات والبضائع، وأحياناً المواد الغذائية. واستهجن الأغا الادعاء الإسرائيلي مقارنة مع عدد المنازل المدمرة، مشيراً إلى أن أصحاب المنازل المدمرة لا يقبلون حفر أنفاق داخل منازلهم، ويحاربون فوراً كل من تسول له نفسه بذلك، حفاظاً على منازلهم وأسرهم، إلا أن قوات الاحتلال تدعي وجود أنفاق لمواصلة تدمير أكبر عدد ممكن من المنازل ضمن سياسة العقاب الجماعي، لمواصلة بناء الجدار الحديدي العنصري على طول الحدود الفلسطينية المصرية، وذلك لإبقاء شعبنا محاصراً، وضمن القبضة الحديدية للاحتلال.

وتساءل الأغا باستهجان: إذا كان المراد تدمير نفق، فلمَ هدم ١٤٧ منزلاً حوله، أي قانون أو ذريعة تسمح بذلك؟

وأضاف: حتى خلال الانتفاضة وقبل أقل من ثلاثة أشهر، قام جهاز الأمن الوقائي بإغلاق مشروع نفقين، واعتقال المسؤولين عنهما، ونظم حملة إعلامية واسعة أمام الرأي العام الدولي إثباتاً للجميع عدم موافقة السلطة والشعب على ذلك، ولإبطال حجة وذريعة الإسرائيليين.

## إنشاء منازل جديدة لا يحتاج إلى سنوات!!

وأكد العديد من أصحاب المنازل المدمرة أن انتظار الجهات المانحة وتوفير الأراضي الخاصة لإنشاء منازل جديدة عليها قضية لا تحتاج إلى سنوات عديدة لإنهائها، بقدر ما تحتاج إلى قلوب وأيدٍ مخلصة لإنهاء المشكلة والتغلب على معاناة الأطفال والنساء الذين فقدوا ملاذهم، وضاعت كتبهم وذكرياتهم تحت الأنقاض وبين الركام.

وساهم تجميد أرصدة عدد من المؤسسات الخيرية الإسلامية في الحد من الحلول المتوقعة للمساهمة في إنهاء مشكلة المنازل المدمرة، وبناء أخرى لها، إذ أن عدداً من المؤسسات الخيرية ساهمت في بناء وحدات سكنية لغير اللاجئين ممن لا تشملهم مساعدات «الأونروا» لإنشاء وحدات سكنية لهم.

وقال ناصر برهوم، رئيس الجمعية الإسلامية برفح: إن مبالغ مالية مرصودة لدعم ومساندة الأسر المشردة لا تزال مجمدة، مشيراً إلى أن الدمار الأخير الذي حل برفح حرك أهل الخير وجعل عدداً منهم يتبرعون بالمساهمة في بناء منازل جديدة للمشردين وإيواء أسرهم.

وبين أنياب جرافات الاحتلال وصمت الرأي العام الدولي لا تزال أحلام الفلسطينيين دفينة بين أنقاض وركام بيوتهم، تصارع اللجوء الجديد وتهيم في الملاذ الأخير .. تبحث عمن يزيل الغبار عنها، ويسمح لها بمواصلة حياتها الطبيعية على الرغم من حلول القرن الحادي والعشرين، وعصر العولمة، وشعارات الحضارة والديمقراطية والمساواة.